الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

سفارة الاب يوحنا ايانو الثانية الى الموارنة ١٥٨٠ — ١٥٨٢

زيارة الاب اليانو لقرى لبنان

لم يشأ السفير الرسولي الاب يوحنا اليانو ورفيقه الاب برونو ان تبقى اعمال مجمع قنُّوبين حبرًا على ورق مطمورة في زوايا المقسام البطريركي بل صمَّما العزم على نشر مضامينها في انحاء لبنان فيجني ثمارها الروحية وتعمها الخلاصيَّة جميع ابناء مارون . ولذلك قصدا زيارة قرى لبنان وتفقُّد شؤون الطائفة واصلاح مـا لعلَّهُ يكون طرأ على بنيها من الاضاليل لمجاورتهم الملل غير النصرانيَّة واصحاب البدع المشذوبة بالحرم

فعرضا الامر على غبطة البطريرك ميخـائيل وعلى اخيه المطران سركيس فاستصوبا رأيهما لكنهما انذراهما بما يحدق بهما من الاخطار في تجوالهما بين امم غريبة وجواسيس الحكومة التركيَّة التي تعُدُّ الاجانب كاعدائهـا فتتهمهم بقصد بلادها لترويج سياستهم الفتيمة

فاستدراكاً لهذا الخطر استشار الاب اليانو الشيخ يوسف حبيش لعلمه بموقعه عند امير لبنان الشمالي منصور عساف فاختار رجلا من اصحابه اوعز اليه بمرافقـة الزائر الرسولي على شرط ان يدفع له اجرة خدمته . واشار السيد البطريرك الى الاب اليانو ان يلبس ثياب الكهنة الموارنة ويطوف القرى دون رفيقه الاب برونو لانه لمعرفته اللغة العربيَّة وعادات الوطن لا يُستراب بجنسيته وهكذا قرَّ الامر كما روى ذلك الاب اليانو في احد مكاتيبه الى رئيسه العام مصرحاً بل اتكاله على الله واستعداده لاحتمال كلّ المشقَّات في سبيل الكنيسة وخدمة الأمة المارونيَّة

ولم يلبث الاب المذكور ان يباشر بالزيارة المنوَّة مبتدئاً بالقرى المجـاورة لدير

قنوبين كالحدث وبشرأي واهدن وحصرون . وسار اوّلاً في رفقته السيّد البطريرك بنفسه ثمّ اصحبهُ ببعض نوّابه .

وقد وصف الاب اليانو في رسائله الى الكردينال كرافّا والى رئيسه العام الاب اقرارد مركوريان في ايلول وتشرين ١٥٨٠ سلوكهُ في تلك الزيارات . قال انهُ يدعو الشعب والكهنة ويحرّضهم على الاستمساك بعرى الايمان والطاعة للكرسيّ الرسولي ويشرح لهم خلاصة المعتقدات المسيحيّة وخصوصاً العقائد التي وقعت فيها بعض الشبهات او شوّهها في كتبهم الطقسيّة جهلة النسّاخ او المبتدعون . وكان في الوقت عينه يُعدّ الشعب والاحداث لاقتبال سرّ التثبيت الذي رأى بعض الخلل في منحهِ مع المعموديّة فكان السيّد البطريرك يتبعهُ جميع الشعب بعد ان يفسّر لهم الاب اليانو ما يتوخّاه . ثمّ كان الزائر الرسولي يوزع عليهم الصور والمسابح وبعض الحسنات ويعتني خصوصاً بارشاد الكهنة ليحسنوا تدبير رعاياهم

وجعل الاب اليانو اوّل اهتمامهِ في تلك الزيارات نشر قوانين مجمع قنوبين في كل انحاء الجبل واتّفق مع السيّد البطريرك ان يختصر موادّها ويستصفي لبابها ويعدّد نسخها لكي توضع نسخة منها في كلّ كنيسة ليطّلع عليها الجميع . وفي سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة نسخة منها باللاتينيّة كما صنّفها الاب اليانو باسم البطريرك ثمّ عربيّاً وكتب منها مائتي نسخة . وهذه صورتها :

وصايا غبطة السيّد ميخائيل الرزّي

بطريرك الطائفة المارونيّة الواجب على الجميع قبولها وحفظها

الباب الاول

١ وصايا عموميّة

١) يجب ذكر الابن الالهي مع الآب في دستور الايمان عند ذكر انبثاق الروح القدس (المنبثق من الآب والابن)

٢) كما اننا نعتقد وجود طبيعتين في السيّد المسيح ونسجد لها كذلك نعترف بانّ في شخصهِ الالهي الوحيد مشيئتين وفعلَيْن

٣) يجب تلاوة التقديس المثلث على هذه الصورة : « قدّوس الله قدوس القوي قدّوس

الذي لا يموت » دون ان يزاد عليه « الذي مُات لاجلنا » فان هذه العبارة مختصة بالاقنوم الثاني

٤) يعلّمنا الايمان الكاثوليكي ان المؤمنين الذين يموتون في حالة البرارة دون الوفاء التامّ من خطاياهم مع إهمالهم لثار التوبة اللائقة تطهّر نفوسهم بعد الوفاة بعذابات المطاير ويمكن المؤمنين الاحياء ان يخفّفوا تلك الاوجاع بتقدمتهم على نيّتهم ذبيحة القدّاس الطاهرة والصلوات والحسنات وغير ذلك من الاعمال الصالحة

٥) يجب عماد الاطفال قبل اربعين يوماً لما يتهدّد حياتهم من المخاطر الشديدة ومن العلوم انهم اذا ماتوا دون هذا السرّ يُحرمون الى الابد من الملكوت السماوي

٦) ليس للكاهن سلطة بان يمسح جبين المعمد بالميرون فانّ ذلك مختصّ بالاسقف الذي يمنح سرّ التثبيت للاولاد البالغين السنة السابعة من عمرهم

٧) لا يجوز توزيع القربان على الاحداث قبل بلوغهم سنّ الرشاد

٨) على كلّ المؤمنين ان يعترفوا بخطاياهم لكاهنهم ثلاث مرّات في السنة او مرة على الاقل ويتناولوا من يده على عيد الفصح

٩) اذا حفظ القربان في الكنيسة يجب تجديده على الاقل كلّ شهرين

١٠) اذا انفصل الرجل وزوجته عن بعضهما بسبب الزنا لا يجوز لهما عقد زواج آخر قبل وفاة احدهما . ولكن اذا اصطلحا لا بأس ان يعيشا معاً

١١) يجب على رُعاة الكنائس ان يعلّموا ايّام الآحاد والاعياد جميع ابناء رعيتهم دستور الايمان ووصايا الله والصلاة الربيّة والسلام الملائكي وبقيّة الاشياء المفيدة للخلاص الابدي

١٢) يحسن بالمؤمنين تلاوة الوردية مع تأمّل اسرارها

الباب الثاني

٢ وصايا خاصّة بالاسرار المقدسة

انّ في توزيع الاسرار اعمالاً وافوالاً عديدة يتولّاها الكاهن الّا انّ بينها ما هو ضروري وجوهريّ حتّى لو أُهمل لا يُنال السرّ دونهُ . وهذه قائمتها :

١) في المعموديّة يجب ان يسكب الكاهن ماء طبيعيّاً على رأس الولد او يغطسهُ في جرن العماد وهو يقول في الوقت ذاته : اني اعمدك باسم الآب والابن والروح القدس

٢) في سرّ القربان يجب اتّخاذ خبز البُرّ وخمر الكرم ممزوجاً قبل تقدمته بقليل من الماء ويجب على الكاهن ان يتلو على خبز الذبيحة هذه الالفاظ : « هذا هو جسدي » وعلى الخمر الممزوج بالماء : « هذا هو كأس دمي للعهد الجديد الابديّ وسرّ الايمان الذي يُهرق لاجلكم ولاجل كثيرين لمغفرة الخطايا »

٣) في سرّ التوبة يجب على المعترف بعد الفحص المدقّق ان يقرّ بجميع خطاياه المميتة التي يعرف انهُ اقترفها . ويجب على الكاهن بعد سماعه باقرار تلك الخطايا ان يتلو على التائب

صورة الحلّة هذه: «اني احلّك من جميع خطاياك باسم الآب والابن والروح القدس»

٤) في سرّ المسحة يجب على الكاهن ان يمسح بالزيت المكرَّس بركة الاسقف عيني المريض المشرف على الموت واذنيه ومنخريه وشفتيه ويديه ورجليه وكليتيه بينما يتلو على كلّ عضو قولهُ: ليسمحك الربّ بواسطة هذه المسحة وبرحمته تعالى الغفرة عن كلّ ما اقترفتهُ «بنظرك» او «بسمعك» . . . الخ

٥) في سرّ الزواج لا بدّ من رضى الزوجين المتبادل الظاهر علنًا بهذا اللفظ او بما يشبههُ: اني اقبلكِ كزوجة لي . . اني اقبلكَ كزوجي

فهذه خلاصة مجمع قنُّوبين انتشرت بمساعي الاب اليانو في كل انحاء الجبل وفي المدن حيثما كان يقطن الموارنة كطرابلس وحلب ودمشق . وهو يكرّر مرارًا في رسائله انها افادت كثيرًا في ازالة الاضاليل السارية في الشعب وانَّ السيّد البطريرك ميخائيل سرَّ بها ووقّعها بامضائه . وكان الاكليروس والشعب عمومًا يرضخون لحكم الاب اليانو ويقبلون تعاليمهُ الّا في مادَّة الطلاق فانَّهم اعترضوا عليهِ انهُ يصعب إقناع الناس على ترك الزواج عند طلاق احد الزوجين لسقوطهِ في زنىً . لكنَّ القاصد الرسولي اماط القناع عن تلك الحقيقة واثبتها بآيات الانجيل ونصوص الآباء القديسين وتعاليم الكنيسة حتّى اقتنع الجميع بقولهِ واعلن السيّد البطريرك انهُ منذ ذاك الحين لن يسمح لاحدٍ بالزواج طالما زوجتهُ بالحياة ولو وقع الطلاق بسبب الزنى . ثمّ جرى على ذلك واذ اتى اليهِ احد الاعيان بعد مدَّة وقدَّم لهُ مبلغًا وافرًا ليرخّص لهُ الاقتران بامرأةٍ لتطليقهِ زوجتهُ الاولى بسبب الزنى ردَّهُ خائبًا .

بيد انَّ الاب اليانو لم يجترئ بنشر قوانين مجمع قنُّوبين لقلع الزوان من حقل ربّ البيت فانَّهُ كان تحقَّق في سفارتهِ الاولى انَّ كثيرًا من كتب الموارنة الدينيَّة والكنسيَّة قد اندسَّت فيها تعاليم مخالفة لمعتقدات الكنيسة الرومانيَّة اوقف عليها غيرة السيّد البطريرك والطائفة فوافقوهُ على فسادها ناسبين ذلك الى نسّاخيها من ذوي البدعة اليعقوبيَّة او من جهال الطائفة . فحسمًا لهذا الداء كان الاب اليانو حيثما يحلُّ يعيد النظر في كتب الكنائس ويشير الى ما فيها من النصوص المغشوشة وغير السديدة فينبّه الكهنة على فسادها ويشير الى اصلاحها او يبتاعها من اصحابها فيحرقها ويعدهم بنسخة منها بعد طبعها في رومية مصحَّحة . وفي مكتبة باريس العموميَّة بين الكتب السريانيَّة الموسومة بالعدد ٢٢٥ (Fonds Syriaque, p. 171 — 173) كتاب

مجموع قوانين البيعة لابن العسّال القبطي ولتوما الكفرطابي بالكرشوني نسخة في بان سنة ١٧٨٦ للاسكندر (١٤٧٦ م) الكاهن ابرهيم بن سركيس فنظر فيه الاب اليانو وكتب بخطه في صدره بالايطاليّة « انّ هذا الكتاب يحتوي عدّة اضاليل وانه يُقتضى احراقه »

وقد كرّر الاب اليانو في رسالته ذكر الكتب الدينيّة الشائعة بين العوارنة والضرورة الماسّة الى اصلاحها والى طبعها منقّحةً في رومية ولولا ذلك تبقى جراثيم البدع منبثّةً بين العموم ويظلّ الايمان معرّضاً لآفات الضلال رغماً عن استقامة العوارنة وحسن نيّتهم كما عاد الكلدان الى النسطوريّة بعد تقدمتهم الطاعة للحبر الروماني لشيوع الكتب المرطوقيّة فيما بينهم (١

ومما يؤيد رأي الاب اليسوعي انّ بعض العوارنة بعد وفاته باشروا في رومية طبع رتبة القداس والتواقيع الجارية في كنائسهم وذلك في السنة ١٥٩٤ واذ لم يكن في رومية من يعرف اللغة السريانيّة اختاروا بين النسخ الخطيّة التي استندوا اليها نسخةً فاسدة تشتمل على عدّة تواقيع منقولة عن اليعاقبة كتافور برشوشان ومار مارونا مع ذكر المبتدعين في عداد القديسين المطلوبة شفاعتهم ولاسيّما برصوما احد زعماء البدعة اليعقوبيّة (ص ١٩٨، ٢٤٥)

ومن الادوية الناجعة التي عمد اليها الاب اليانو لنفي الجهل وتقريراً للايمان في لبنان انشاء المدارس للاحداث فانهُ تحقّق ما كان عليه الشعب من الجهل المطبق حتّى انهُ اكّد في بعض رسائله انّ الذين يعرفون في لبنان القراءة والكتابة لا يتجاوزون عدد الاصابع . فافرغ جهدهُ حيثما كان يرَ كي يتّخذ معلّمين للصغار وهم غالباً كهنة الرعايا كان الاب يدفع لهم بعض الاجرة ويحرّض السيّد البطريرك على مساعدتهم بقسم من مال الاوقاف

واختار بين اولئك الاحداث اربعةً وجدهم اذكى وانشط من أترابهم اراد

(١ وقد وجد الاب اليانو بين الكتب التي وقف عليها بعض المخطوطات القديمة التي عدّها زينةً للمكتبة الواتيكانيّة فابتاعها لها . منها توراة كاملة على رقّ غزال من القرن الثاني عشر . ومنها تأليف القديس يوحنّا الدمشقي في الايمان القويم كان يريد ان ينشرهُ بالطبع ويرسلهُ الى الشرق فيوزّعهُ للفوائد

الاعتناء بهم ريثما يرسلهم الى رومية فيدرسون هناك العلوم الدينية ويعودون بعد اتقانها الى وطنهم . وسيأتي ذكرهم قريباً

قضى الاب اليانو سنة كاملة (آب ١٥٨٠—ايلول ١٥٨١) وهو يطوف في جهات لبنان ساعياً بكل ما يؤول الى خير الطائفة المارونية لا يأخذهُ في ذلك لومة لائم ولا يثنيه عزمهُ شيءٌ من التعب والمشقات . وكان الاب برونو والاخ برنردينو يصحبانه في بعض اسفاره الرسولية فيسيرون ثلثيهم الى حيث يستدعيهم خير النفوس وفي رسائل الابوين برونو واليانو انهم اختبروا غير مرة آلام السيد المسيح وانهم وقعوا في ايدي اللصوص وعصابات الملثمين فنهبوهم وضربوهم بالعصي وحبسوهم وحكموا بالاعدام على الاخ برنردينو وانهم لولا ما دفعوهُ بالرشوة لمتعصبيهم لما نجوا من اذاهم . وقد اثنوا على بعض تجار الفرنج في طرابلس الذين تكفلوا لهم بالمال وفكوا به اغلالهم

وفاة البطريرك ميخائيل السرزي

لقي المرسلون طول مدة اقامتهم في لبنان كلّ حفاوة واكرام من لدن زعيم الطائفة المارونية ورأسها الجليل . ولا يزال الاب اليانو في كتاباته يُطري محامدهُ ويُعلن بصدق ايمانه وتشبثهِ التام باعتاب الكنيسة الرومانية وقد استمدّ له من الكرسيّ الرسوليّ بعض الانعامات كالمعافاة عن زيارة رومية كلّ ثلاث سنوات بشخصه وكسيامة المتزوجين مرتين قبل الكهنوت والاعلان بشرعية المواليد غير الشرعيين ولدينا قائمة ما التمسهُ من الحسنات للبطريرك الموما اليه . على انّ ثقل الايام واعباء السنين كانت اضعفت قوى السيد ميخائيل فلم يعد يستطيع ان يقوم بكل واجباته

ولما كانت اواسط شهر ايلول من السنة ١٥٨١ زاد ضعفهُ ولزم الفراش ولم يزل يتفاقم وجعهُ حتى شعر بدنو اجلهِ وفي يوم العشرين من ايلول استدعى الاب اليانو لمساعدته في رحلته الى الابدية فاسرع السفير الرسوليّ الى تلبية دعوته ومنحهُ سرّ المسحة الاخيرة بحضور كثيرين من الاساقفة والكهنة والاعيان فاقرأهم الوداع واوصاهم بحفظ وديعة الايمان والخضوع للكنيسة الرومانية وختم ذلك بقولهِ : « اني ارائي سعيداً ان اسلّم نفسي في ايدي خالقها وبقربي مثلو الكرسيّ الرسوليّ »

وكانت وفاته في اليوم التالي ٢١ ايلول سنة ١٥٨١ (١)

وقد عثرنا للبطريرك المذكور على بعض الرسائل المخطوطة في سجلات رهبانيتنا في رومية نروي منها نبذًا تتمّة للفائدة فمنها رسالته الى رئيس الرهبانية اليسوعية العام في رومية الاب اقرَرد مركوريان كتبها عند بلوغ امره الى الاب الياتو ورفيقه الاب توما راجيو بالرجوع الى رومية بعد سفارة الاب الياتو الاولى في ١٥ كانون الاوّل سنة ١٥٧٨

الى حضرة الاب الموقّر الاركون المدبّر الاخ العزيز الجنيرال

اذكى السلام التامّ بالعزّ والتحية والاكرام سلام الروح القدس مسانح الانعام يُهدى بو حضرة الاخ العزيز الموما اليو اعلاه ادام الله محبتهُ واحويتهُ زمنًا طويلًا امين . والى غير ذلك الذي افاوض بو خدمة سيادتك الى انا مع جملة شعبي فرحنا بغاية بحضور اخوتك عندنا وهم القس باطيشتا والقس توما وانا نشكر فضل الله تعالى مع نضل خدمة سيادتك الذي اعملت باوسالهم الى عندنا . وايضًا نشي الشكر لفضلك لاجل ما تفضّلت بو بافتقادك لي بانيوس داي (اي ذخيرة Agnus Dei حمل الله) والمسبحة وعوض هذا الخان يكون لي انشراح اذ قدرت اجازيك بشيء يكون لائقًا ومناسبًا بك . ومن جملة الاخوة الذين ارسلت لنا القس باطيشتا الذي كان مجتهدًا فيما هو نافعٌ لخلاص نفوسنا وبقرابة كتبنا وترجمة كتبكم بلساننا وبجوابه الا نشكّ بو نحو الامانة والاعتقاد ومعاشرتو معنا وبافتقاد الرعيّة وبحضوره ليتذر خدمة الاسرار البيعيّة . . ورغبنا من قصادكم ان يحضروا عندنا ويقيموا في ديرنا . . . وقد ارسلتُ اليوم ان يحضروا الى مدينة رومية وليس عرفنا ما هو السبب الموجب لذلك لكون اقسم حضروا لعندنا ليقيموا على قدر الحاجة ليكملوا ارادة السيّد المعظم البابا والكردينال وكيلنا . . . . وانا ارغبُ ان يقيموا عندنا الى حين ما يكمل شغلنا وبالاقلّ القسّ باطيشتا ونحن نرغب منهُ ليقيم عندنا حتى يجينا جواب هذا الكتاب فيكون لهُ ولسيادتك اجر عند الله . . . اعفى ذلك الحقير بعد تجديد السلام عليك وعلى كلّ من هو تحت طاعتك كثير كثير وطالبين من حضرتكم الدعاء الصالح لاجل الله لهُ الحمد والشكر الى ابد الابدين

الحقير في البطاركة بطرس الماسك الكرسي الانطاكي

في دير العذراء في جبل لبنان المبارك

برز ذلك من دير قنّوبين في ١٨ من ك ١ ١٥٧٨

ثم اردف السيّد البطريرك وكتب الكتاب الآتي بعد ايّام الى الرئيس العام المذكور اذ رأى المرسلين متممين النيّة على السفر :

---

١) ليست السنة ١٥٨٠ كما ورد في تاريخ الموارنة للعلّامة الدويهي (ص٤٤٤)

ܫܠܡܐ ܕܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܕܐܬܝ ܥܠ ܫܠܝܚܐ ܩܕܝܫܝܢ ܒܥܠܝܬܐ ܨܗܝܘܢ ܩܕܝܫܬܐ ܘܐܡܠܝ ܦܪܚܐ ܘܚܕܘܬܐ ܗܠܟ ܫܠܡܐ ܒܝܢ ܝܠܕ ܘܝܬܩܪ ܥܠ ذات الاخ العزيز الموقر المكرّم اخونا الجبرال . . انّي اشكر الله تعالى وفضل سيادتكم لارسالك وافتقادك لنا بقدس الآباء الموقّرين قصّاد الكرسي الرسولي اولادكم ففرحنا وابتهجنا كثيرًا بحضورهم وأكتبنا اشياء جليلة حسنة من تعاليمهم وسيرتهم الحسنة وكان يحصل لنا اكثر ممّا حصل لو انهم قعدوا عندنا وبالاكثر الاب الذي ناطيشنا (اليانو) لانهُ يعرف بلساننا وقرايتنا عربي وكرشوني ومحبوب منّا ومن رعيّتنا الذين عرفوهُ واعتبروا (كذا) معهُ . لكن لمّا عرفنا الضرورة المزمة لحضورهم عندكم اوّلًا لاجل الطاعة لسيادتكم لانكم ارسلتم تطلبوهم وثانيًا لاجل الصانعون لاننا نحتشين كثيرًا منهُ وانهُ ابتدأ في بلاد مصر واعمالها وهاهنا جاءت اشاراتهُ . والدليل على ذلك انّ العادة اذا كان الصانعون اوّلًا يحبّ الجدري وانهُ تمتلئ البلاد منهُ . وثالثًا ليعطوا حساب (عن مقارضهم) وقد كتبنا الى سيّدنا المعظم البابا ولوكيلنا الكردينال كرافّا لتكمل اشياء كثيرة ابتدوا بها التي ان لم تتكمّل لم نكن فعلنا شيئ . وما ابتدأ بهِ هو انهُ قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيهم اشياء كثيرة غلط وانّ كتبنا بغير عدد . ولافتقاد رعيّتي بصحبتي ام بصحبة احد من المطارنة لترتيب الرعيّة وتثبيتها على ما يريد قدس السيّد البابا لانّنا نحن وحدنا ليس نقدر نفعل ذلك لانّنا ليس مسوعين الكلمة مثل بلادكم ونواحيكم . وايضًا فليجاوب تمامًا تتشكّك بهِ الرعيّة وليترجم كتب صالحة من لسانكم الى لساننا لاجل اصطلاح شأننا فلهذا نرغب من سيادتك لاجل الله ولاجل المحبّة ان ترسلهُ لنا ثانيًا ونحن نكون حافظين هذه الحسنة والفضيلة الى دهر الدهور والله يجازيك في ملكوت السماء . . . أمّي ذلك الحقير بعد تجديد السلام عليك وعلى من هو بخدمتك والحمد لله وحدهُ

برز من دير قنوبين سنة ١٥٧٨ من التجسّد الالهي

وفي ٢٥ شباط ١٥٧٩ كتب البطريرك الى احد ابناء طائفته الشدياق عازار وكيلهِ يطلب منهُ بان يسعى في رجوع الاب اليانو الى لبنان :

ܫܠܡܐ ܕܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܕܐܬܝ ܥܠ ܫܠܝܚܐ ܩܕܝܫܝܢ ܒܥܠܝܬܐ ܨܗܝܘܢ ܩܕܝܫܬܐ ܘܐܡܠܝ ܦܪܚܐ ܘܚܕܘܬܐ ܗܠܟ ܫܠܡܐ ܒܝܢ ܝܠܕ ܘܝܬܩܪ ܥܠ ذات الولد العزيز الغالي الشدياق عازار بركة الربّ ثانيًا وثالثًا تحلّ عليك وعلى بيتك وعلى رزقك ومقتناك وعلى بنيك وشراك وعلى اخذك وعطاك وعلى ما تقلّب بيمينك مع شمالك امين . والى غير ذلك الذي نعرفك بهِ بانهُ يكون على علمك بانّ قصّاد السيد البابا انصرفوا عنّا وحصل لنا من ذلك

هم و غم جزيل وليس كان مرادنا فرقتهم لكن الضرورة لما أحكام وانّنا نأتي خاطرنا شيء واحد الذي هو رجانا بعودة الاب القس باطيشتا الى عندنا ليكمّل ما ابتدأ به لنا . وانّنا نسأل فضائك ان تداومهُ وتطرّي فكرهُ فينا ولا تخليه ينسانا . واني قول له انّ من يغرس شجرة يسوسها الى حين تكبر وتثمر وانك انت وكيلنا في هذه القضية وتروح الى عند عزيزنا الكردينال كرافّا واسأل من فضله على لسانّا ان يسعى في ارسال الاب القس باطيشتا وانك لا تفعل شيء الا بشوره . . . ولا تقطع تجديد البركة عليك ثانيًا وثالثًا والحمد لله وحده

كتب في دير قنوبين في ٢٥ شباط سنة ١٥٧٩

ولدينا الكتاب الذي ارسلهُ الكردينال كرافّا الى البطريرك ميخائيل الرزي بعد عودة الاب اليسانو الى رومية مثنيًا على حسن سلوكه مع المرسلين وشاكرًا لهُ على ذخيرة القديسة مارينا التي ارسلها اليه (من انشاء الاب اليانو) :

رسالة الكردينال انطون كرّافا الى البطريرك ميخائيل

سلام ربّنا يسوع المسيح مع الاخ المكرّم . بعد وصول القصّاد الينا ما كتبت لاخوتك حتى كلمتُ السيّد البابا فاجاوب على سائر كتبك وعلى كلّ ما تقصد وتطالب من قداسته . فاعرّف لاخوتك انهُ ليس كان في خاطر الغدير (اي الحبر الاعظم) ان يرجعوا القصّاد من عندك وبالخصوص الاب المكرّم باطيشتا لانهُ كان في ارادته ان يدوم عندكم مدّة ايّام لمنفعة بيعكم وخدمتك . لكن نقول انّ كل شيء صار بامر وتدبير الله من حيث ان اصل هذه القضيّة هي لمجد وكرامة الرب . وايضًا اعرّف اخوتك انّي قبل تاريخه جاوبت عن سائر رسالاتك اليّ والى السيّد البابا واتانا انّ مشرّفاتنا وصلوا الى اخوتك اذا ما اصابهم تبذير في الطريق . والاب الاقدس قد فرح جدًا اذ القصّاد خبّروهُ لاجل افتقادهم رعيّتك وشكروا الرب في ذلك الذي اوهبك نعمة لتقصد وتشتهي قبول واحتضان كلّ ما تعلمهُ وتكرزهُ البيعة الكاثوليكيّة لتنال مع جميع المقدسين حياة الابديّة . ويشكر احسانك كثيرًا الاب المقدّس لاجل الوقار والاحسان الذي عملتهُ مع قصّاده وعرض ذلك يرسل الى اخوتك ولجميع شعبك البركة الرسوليّة ولتكمّل كلّ ما تأمر وتعلّم البيعة المقدّسة . واشكر احسانك لاجل عظم القديسة مرت مارينا الذي ارسلتهُ الى حقارتي وهو مقبول وعزيز عندي وليس كان لازم ان تبعث لي من الاشياء الاخرى لكن انا اقتنيهم من اجل محبّتك واكون دائمًا في خدمتك واطلب من الرب ان يحفظك مع جميع شعبك في نعمته والسلام

مكتوب في مدينة رومية في ١ آب ١٥٧٩

واطّلعنا كذلك على رسالة الاب اليانو الى البطريرك ميخائيل يعلمهُ بقرب عودته الى لبنان لسفارة ثانية مع الاب يوحنّا يرونو والاخ الشمّاس برنردينو ويعلن برضى

قداسة الحبر الاعظم عنه وعن طائفته ويطمئنه عن احوال التلامذة الموارنة وعن نجاحهم في الدروس. ويذكر انه سيعود الى لبنان ومعه هدايا كثيرة المكنائس كالكؤوس والحلل الكهنوتيّة وادوات الطبع للبرشان وغير ذلك ويبدي الرجاء بان يجد عند وصوله السيّد البطريرك في الصحة التامّة. وتاريخ هذه الرسالة غرّة كانون الثاني سنة ١٥٨٠

فمن كلّ هذه الرسائل يتّضح ما كان للاب جوان باطيشتا اليانو من العزّ والاعتبار لدى بطريرك الموارنة والطائفة المارونية وكم هي باطلة السعايات التي نشرت بعد وفاته في حقّه ونقلها جزافاً بعض مؤرخي الموارنة لعدم وقوفهم على الآثار التي نشرناها

انتخاب البطريرك سركيس الرزي

قال الدويهي في تاريخه (ص ١٧٧ و ٤٤٤) وفي سلسلة بطاركة الطائفة المارونيّة التي نشرناها في المشرق (ص ١٩) «انهُ في اليوم التاسع لوفاة البطريرك ميخائيل اجتمع المطارنة والاساقفة والاكليروس ومشايخ الطائفة واقاموا اخاه الاسقف سركيس لرئاسة الشعب وحضر الخلفة قاصد البابا جوان باطيشتا ورفيقهُ جوان برونا وبعد ذلك اشخص جوان برونا الى رومية بكتابة ممضاة من الجميع ولمّا وقف البابا غريغوريوس عليها امر بأن يُعطى درع تمام الرئاسة وان تكون جميع الطائفة تحت طاعته في الروحيّات والجسديّات (كذا)». ولم يزد على هذه النبذة القصيرة شيئاً. ولنا في رسالات الاب اليانو وفي سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة ما يفيدنا علماً عن بطريركيّة سركيس الرزّي واعماله المبرورة. فمن ذلك صورة انتخابه كما يلي:

لمّا كان تاريخ السنة المسيحيّة ١٥٨١ ثامن وعشرين يوم من شهر ايلول المبارك الموافق لتاريخ السنة اليونانيّة ١٨٩٢ ثامن يوم بعد نياح البطريرك مار ميخائيل بطرك ملّتنا نحن الحقيرين الموارنة اجتمعنا المطارنة والاساقفة والكهنة مع باقي الاكليروس واكابر طائفتنا وكثير من شعبنا الطائعين للكرسي الرسولي وللسيّد البابا غريغوريوس الثالث عشر ولجميع الآباء الغافيّة (الباباوات) الآتين بعده خانماً بعد خلف الى منتهى العالم بارشاد الله ومعونته لمّا فحصنا باجتهاد شديد واهتمام وكيد في سيرة وقداسة وطهارة وعلم الاب المكرّم الجليل المتلئ من نعمة الروح القدس الفارقليط في حذه البيعة المقدّسة دير ستّنا العذراء المعروف بدير قنّوبين في جبل لبنان المبارك اصطفينا واخترنا هذا المطران الحبيس مار سركيس المذكور في قرية كفرحورا ليتولّى علينا

ويكون رئيسنا ومدبّرنا ومرشدنا في الامانة الكاثوليكية الرومانيّة وجميع ما يوصينا به الاب المقدّس البابا المذكور على يد قصّاده الآباء القديسين الاب الفاضل المكرّم القسّ يوحنا باطيشتا والاب الطاهر القسّ يوحنّا بروتا الحاضرين والمقدّمين في هذا المجمع المقدّس وسيّدنا هذا المطران مركبس بطركًا علينا وعلى جميع ملّتنا الموارنة القاطنين في جبل لبنان المبارك وفي جميع بلاد سوريّا وقبرس وفي سائر البلدان عوض البطرك ميخائيل المتنيّح الى رحمة الله. فنحن جميع المذكورين نأمر ونوصي الحاضرين والغائبين ان يوقّروا ويكرّموا ويطيعوا لهذا البطرك المختار من نعمة الروح القدس ومن حقارتنا في جميع ما يأمر من امور البيعة المقدّسة في الزيجات والصيامات المأروفة من الاباء القديسين ومن المجامع الاطهار كما كانوا مطيعين البطاركة السالفين ولا يساووا شيئًا بضدّه ولا يرتسم بغير شورهِ لا اسقف ولا مطران وكلّ من يخالفهُ او يضادّهُ او يتحسّل ويتجبّر عليه بجميع ما يضادّ الناموس يكون محروم من الله ومن جميع الآباء ومن كرسيّ مار بطرس الرسول ومن جميع المطارنة والاساقفة المجتمعين في هذا المجمع المقدّس وكلّ من يطيعهُ يكون مبارك من الله ومن جميع الآباء القديسين آمين. فنحن جميعنا الحاضرين نطلب من الرب ان يطوّل عمره وبقاهُ ايّام مديدة وسنين عديدة واشهر مزيدة ويثبتهُ ويثبتنا معهُ في الامانة الكاثوليكيّة الرومانيّة الى آخر الانفاس من عمرنا. ونرغب ايضًا من قصّاد السيّد البابا الحاضرين منّا ان يرغبوا الى الاب المقدّس ان يثبت هذا الاب البطريرك الذي اخترناهُ في هذا اليوم المبارك في هذه الدرجة البطريركيّة كما تثبّت البطاركة القدماء السالفين الى يومنا هذا والسبح لله دائمًا ابدًا آمين

كُتب في دير سيّدتنا العذراء دير قنّوبين بحضرة الآباء الاساقفة والمطارنة والآباء المكرّمين قصّاد السيّد البابا الواضعين خطوطهم هنا بيدهم

(وقد امضى القاصدان اسمهما باللاتينيّة) :

Ego Joannes Bta Elianus Presbyter Religiosus Soc. Jesu
fui praesens praelictis et subscripsi
Ego Joannes Bruno Presbyter Religiosus Soc. Jesu
subscripsi

ثم يليه اسماء المطارنة وكلّ منهم يكتب على هذه الصورة : « انا الحقير في المطارنة مطران فلان رضيتُ في هذا البطريرك المذكور وهذا خطّي يشهد عليّ »

مطران جرجس. مطران يوحنّا من قرية اهدن — م. داؤد من قرية الحوزة — م. يعقوب — م. يونان — م. قليموس

ثم اسماء الخوارنة والاعيان والشمامسة :

الخوري عزيز من بشرّه — خ. سمعان من حدشيت — خ. جلوس من اهدن — خ. جرجس من تولا — خ. سليمان من كفرزينا — خ. عازار من اجبع — خ. جرجس من كرمده — خ. دواد من

كفرحاتا–خ . موسى من بقرزلا–خ . رزق من دير جنين–خ . سليمان من الماقوره–خ . ابراهيم من ايليج –خ . موسى من جاج–خ . عزيز من ترتج–خ . جرجس من حردين . وكثيرين من الكهنة والقسوس والبراذطة

يوسف حبيش من غزير . ابراهيم بن الخازن من عجلتون . دوميط من الماقوره . شدياق صادر من الماقوره–ش . مقبل من بير حلبون–ش . حنّا من المدث–ش . صادر من حصرون–ش . الياس من حصرون–ش . باخوس من حدشيت–ش . بشارة من بان . شحاده من بشرّه . وكثيرين من الاكليروس وغيرهم

الحقير في الكهنة الخوري يوحنّا حصرون كاتب هذا السجلّ في رضا الرعيّة جميعها وانا رضيت هذا البطرك وهذا خطّي يشهد عليّ

وزادنا الاب اليانو افادةً فوصف في رسائله البطريرك الجديد بقوله : انهُ رجل جدير بهذا المقام الرفيع لقداسة سيرته وعلمه وخبرته في سياسة الامور التي كان تداولها في عهد اخيه المتوفى . وكان قضى سنين طوالاً في حبس قزحيا ووادي قاديشا عائشاً عيشة النسّاك في الزهد واعمال التقى . ولمّا اجتمع رؤساء الطائفة لانتخاب خلف للبطريرك ميخائيل خاف ان تتوجه اليه اصوات المنتخبين فتُجمل فوق اكتافه اعباء البطريركيّة فحاول الهرب من وجههم لكنّ الآباء لم يرضوا بسواهُ واضطرّوهُ الى قبول ذلك المنصب الرفيع . امّا هو فاجهش بالبكاء وتوسّل الى الاساقفة ناشدًا اياهم الله بان يرحموهُ ويدعوهُ في عزلته وهو قد اعتاد منذ عدّة سنين العيشة النسكيّة لا يعهد من نفسه الصفات اللازمة لمثل هذا المقام . غير انّ كلامهُ هذا زاد العموم تعلّقًا بشخصه لاجل تواضعه ونزاهة نفسه ولم يزالوا يلحّون عليه مع قاصدي الكرسي الرسولي حتّى خشي ان يقاوم مشيئة الله واجاب الى دعوتهم مرغومًا

فاجلسوه حينئذٍ على الكرسيّ البطريركي وقدّموا لهُ الطاعة . وفي اليوم التالي صار احتفال عظيم فقدّم البطريرك الجديد الذبيحة المقدّسة بكل رونق وقبل ان يتناول جسد الربّ جثا امام المذبح فتلا صورة ايمانه الكاثوليكي بصوت جهور وفقًا لامر المجامع المقدّسة . فشمل الفرح جميع ابناء الطائفة لاجل هذا الانتخاب

(لهُ بقيّة)